وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت
برحمته والتأويلات المتقدمة أولى وأليق بحال الأنبياء
فذهب مغاضبا لقومه ولذلك فنادى في الظلمات أي ظلمة
الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت أن لا إله إلا أنت سبحانك
إني كنت من الظالمين روي عن أبي هريرة مرفوعا أوحى الله إلى الحوت
أن خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى به إلى
مسكنه في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال
في نفسه ما هذا فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر قال
فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع
صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان
مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت
فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة
عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل
كما قال الله عز وجل فنبذناه بالعراء وهو سقيم فذلك قوله تعالى
فاستجبنا له يعني أجبناه ونجيناه من الغم من تلك الظلمات
وكذلك ننجي المؤمنين من كل كرب إذا دعونا واستغاثوا بنا وقرأ
ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر نجي بنون واحدة وتشديد الجيم
وتسكين الياء لأنها مكتوبة في المصحف بنون واحدة واختلف
النحاة في هذه القراءة فذهب أكثرهم إلى أنها لحن لأنه لو كان على
ما لم يسم فاعله لم يسكن الياء ورفع المؤمنين ومنهم من صوبها
وذكر الفراء لها وجها آخر وهو إضمار المصدر أي نجي النجاء المؤمنين
ونصب المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيدا ثم تقول ضرب زيدا
بالنصب على إضمار المصدر وسكن الياء في نجي كما يسكنون في بقي فلا
يحركونها وقال القتيبي من قرأ بنون واحدة والتشديد فإنما
أراد ننجي من التنجية إلا أنه أدغم وحذف نونا طلبا للخفة
ولم يرضها النحويون لبعد مخرج النون من الجيم والإدغام
يكون عند قرب المخرج وقراءة العامة ننجي بنونين من الإنجاء
وإنما كتبت بنون واحدة لأن النون الثانية كانت ساكنة والساكن
غير ظاهر على اللسان فحذف كما فعلوا في إلا حذفوا النون منها
لخفائها واختلفوا في رسالة يونس متى كانت فروي
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها كانت بعد أن أخرجه الله
من بطن الحوت بدليل أن الله عز وجل ذكره في سورة والصافات
فقال فنبذناه بالعراء ثم ذكر بعده وأرسلناه إلى مائة ألف
أو يزيدون وقال آخرون إنها كانت من قبل بدليل قوله

تعالى

قوله تعالى وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون
قوله عز وجل وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا
وحيدا لا ولد لي وارزقني وارثا وأنت خير الوارثين فإنه
الباقي بعد فناء الخلق وإنه أفضل من بقي حيا فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى ولدا وأصلحنا له زوجه أي جعلناها ولودا
بعدما كانت عقيما قاله أكثر المفسرين وقال بعضهم كانت
سيئة الخلق فأصلحها بأن رزقها حسن الخلق إنهم يعني الأنبياء
الذين سماهم في هذه السورة كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
رغبا ورهبا طمعا وخوفا رغبا في رحمة الله ورهبا من عذاب الله
وكانوا لنا خاشعين أي متواضعين قال قتادة ذللا لأمر الله
عز وجل وقال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم في القلب
والتي أحصنت فرجها حفظته من الحرام وأراد مريم بنت عمران
فنفخنا فيها من روحنا أي أمرنا جبريل حتى نفخ في جيب درعها
وأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح إليه تشريفا
لعيسى عليه السلام وجعلناها وابنها آية للعالمين أي دلالة
على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب ولم يقل آيتين وهما
اثنان لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية لأن الآية
كانت فيهما واحدة وعلى هذا التقدير يحمل قوله عز وجل
إن هذه أمتكم أي ملتكم ودينكم أمة واحدة أي دينا واحدا وهو
الإسلام فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان وأصل الأمة
الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة
لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع
وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم أي اختلفوا في الدين
فصاروا فرقا وأحزابا قال الكلبي فرقوا دينهم بينهم يلعن
بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض والتقطع هاهنا بمعنى
التقطيع كل إلينا راجعون فنجزيهم بأعمالهم فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه أي لا جحود ولا بطلان لسعيه
بل نشكره ونثيبه عليه وإنا له كاتبون لعمله ما نخطئ
وقيل معنى الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة
وحرام على قرية قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وحرم بكسر الحاء
بلا ألف وقرأ الباقون وحرام وهما لغتان مثل حل وحلال
قال ابن عباس معنى الآية وحرام على أهل قرية أي أهل قرية أهلكناها
أنهم لا يرجعون أن يرجعوا بعد الهلاك فعلى هذا تكون لا صلة
وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى هذا تكون لا ثابتة
معناه واجب على أهل قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون

Copyright ... University